الأمن في القرآن الكريم - دراسة بلاغية

اعداد
فاطمة سعد عبد الرحمن القحطاني

Doi: 10.33850/ajahs.2020.68769
الاستلام : ٢٥ / ١١ /٢٠١٩ القبول : ٢٨ / ١٢ /٢٠١٩

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة للوصول للآيات التي تتناول الأمن في القرآن الكريم والتعرف على علم المعاني في الآيات القرآنية التي تحمل الأمن في معانيها وإلى تناول علم البيان وعلم البديع في آيات الأمن. أوضحت هذه الدراسة مدى أهمية القرآن الكريم ومدي أثره في بث روح السكينة والاستقرار في نفس القارئ له وجاءت كلمة السكينة في القرآن بهدف طمأنة المؤمنين وتثبيتهم علي الإيمان في مجاوزة الحروب مع المشركين وظهر هذا في عدة مواقف ومنها يوم حنين، ويوم الهجرة حين كان هو وصاحبة الصادق الأمين (صلى الله عليه وسلم) ، يوم الغار وفي يوم صلح الحديبية مع بنى إسرائيل. وأُستخدام المنهج الوصفي التحليلي حيث شرح الباحث الأفكار التي تتناول الأمن في الآيات القرآنية وتناول علم المعاني والبيان والبديع فيها وتحليلها. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج وهي أن الأمن هو الطمأنينة والسكون في الأنفس وفي جميع شؤون الحياة، وأن من أعظم أسباب وركائز الأمن هو الإيمان إذ به يتم الأمن الروحي حيث هو الركيزة الأولى للأمن، وأن بالقيام بما افترضه الله علينا من الواجبات على اختلاف أنواعها، والبعد عن المنهيات أيًا كانت درجتها، يحصل الأمن الحقيقي، وأن تنفيذ الحدود التي شرعها الله على الجناة والمفسدين له أثره الظاهر والمشاهد في استتباب الأمن.

الكلمات المفتاحية: الأمن ، علم المعاني، علم البديع، علم البيان.

Abstract:

This study aimed to talk about verses that handle security in the Holy Quran, recognize the study of semantics in the Quranic verses that have meanings of security, and handle the study of rhetoric composition and the study of stylistic in verses about security. This study clarified the importance of the Holy Quran and its effect on spreading the spirit of tranquility and

stability to the reader. The word “tranquility” was mentioned in the Holy Quran to calm believers and to confirm their belief in exceeding wars with the polytheists. It appeared in several situations, such as, Hunain Day and Migration Day, when the Prophet (peace be upon him) was accompanied by His trustworthy friend at Al-Gar Day and Treaty of Hudaybiya with Tribes of Israel. The researcher used the descriptive analytic approach. The researcher explained ideas that handle security in the Quranic verses, the study of rhetoric composition and the study of stylistic, and analyzing them.The study reached several conclusions which is Security is tranquility and calmness in spirits in all life affairs. One of the greatest reasons and pillars of security is belief which tranquil the spirit as it is the first pillar of security. Also, by doing what Allah supposed of different types of duties and being apart from any prohibitions at any level, one gets the true security. The implementation of the limits set by God on the perpetrators and the corrupts has its apparent and visible impact on security.

Key words: Security, the study of semantics, the study of rhetoric composition, the study of stylistic

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب الكريم، على أفصح الناطقين بـ"الضاد". والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين، الذي أدى الأمانات، وبلغ الرسالات، بأجود طريقة لإبلاغ الرسالة، وعلى أله وصحبه كلهم أجمعين، الذي اتبعوه في كل ما جاء به، وكانوا قبل ذلك يهيمون، وفي كل واد يتيهون، الذي أنزل القرآن بفضله، وكرمه، ورحمته؛ ليكون نورًا وضياءً للعالمين، تطمئن به القلوب، (اللَّـهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّـهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّـهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّـهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر، ٢٣)

إن هذا البحث يتحدث عن آيات في القرآن الكريم يقال لها آيات الأمن، وقد ذُكِرَت هذه الآيات في مواضع كثيرة " الأمن" سواء بشكل صريح أو جاءت منكرة.

والقرآن الكريم يبث روح السكينة والاستقرار بطبيعته في نفس القارئ، فجاءت كلمة السكينة في القرآن بهدف طمأنة المؤمنين، وتثبيتهم علي الأيمان في خضم حروبهم مع المشركين، وتجلي هذا في عدة مواقف؛ منها يوم حنين، ويوم الهجرة، حين كان صلى الله عليه وسلم، وصاحبة الصادق الأمين (صلى الله عليه وسلم) يوم الغار، وفي يوم صلح الحديبية، وبنى إسرائيل في حربهم مع الأعداء.

وقد تطرقنا لهذا الموضوع لعدة أسباب منها:

١- لم يتم دراسة هذه الآيات من زاوية البلاغة من قبل؛ مما يشجعنا علي استخراج لمحات الجمال البلاغي، وتتزويد محبي علم البلاغة بقدر عظيم من البلاغة العربية والقرآنية.

٢- هذه الآيات متشابهة إلي حد كبير في معناها والمواقف التى نزلت فيه، رغم أن مقاماتها مختلفة؛ إلا أنها لها نفس النتيجة في المعنى، وهو تحقيق النصر بعد الصبر والسكينة. ولذلك تم تقديم هذه الدراسة؛ لكشف بعض من أسرار البلاغة في هذه الآيات.

أهمية البحث:

يعتبر الأمن من المطالب النبيلة والرفيعة، التي تسعى لتحقيقها كل البشرية، وتبذل كل ما تستطيع من إمكانيات بشرية أو مادية لتنشر هذا الأمل؛ لأنه يعتبر مطلبًا أساسيًا من مطالب الحياة. ويعتبر الأمن من أهم ضرورات الحياة، وسوف نتناوله من جانب بلاغي، حيث علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع وأثره في آيات الله؛ لأجل ذلك، بين الله عز وجل لنا، أسباب ومكونات الأمن، التي إذا تم التقصير في حقها؛ ينعدم الأمن ويتزعزع.

منهج البحث:

استخدم الباحث منهج الوصفي التحليلي، حيث تم شرح الأفكار التي تتناول الأمن في الآيات القرآنية، وتناول علم المعاني، والبيان، والبديع فيها وتحليله.

أهداف البحث:

وتتمثل أهداف هذا البحث في:

١. التعرف على آيات الأمن في القرآن الكريم.

٢. التعرف على علم المعاني في الآيات القرآنية التي تحمل الأمن في معانيها.

٣. معرفة وتناول علم البيان وعلم البديع في آيات الأمن.

الإطار النظري

الأمن في القرآن الكريم

تعريف الأمن:

الأمن هو طمأنة النفس من الخوف، والأمن والأمانة والأمان هي أسماء لمصادر، ويكون أحيانًا اسم الحالة التي عليها الإنسان.

وفي معجم مقاييس اللغة: أمن، الهمزة، والميم، والنون، أصلان متقاربان في أحدهما الأمانة ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق.

هذا المعنى هو الذي ذكر في أقوال المفسرين في تعريف الأمن، عند تفسيرهم للآيات التي ذكر الله سبحانه وتعالى فيها الأمن .

جاء في تفسير الطبري قوله تعالى {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا} [البقرة: ١٢٥].

(الأمن هنا مصدر من قول القائل أمِنَ يَأْمَنُ مأمنًا؛ وإنما سماه الله أمنًا؛ لأنه بيته الشريف، كان في الجاهلية معاذًا لمن استعاذ به، وكان الرجل منهم لو لقي به قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه، ولم يعرض له حتى يخرج منه).

وبناء على التعريفات السابقة للأمن، يتبيَّن لنا أنه ضد الخوف، وأنه يرمز إلى طمأنينة النفس وسكونها.

تعريف مصطلح الأمن:

في حال التدقيق الإصلاحي للأمن، لم أجد أحدًا قام بتعريف الأمن مستقلا، بل تم الاكتفاء بالتعريف اللغوي له فقط.

ويمكن تعريف الأمن بأنه: الاستعداد بالحفاظ على الضروريات الخمس من أي تعد عليها؛ حيث إن كل ما يشير إلى معنى الطمأنينة والسكينة في أي من أمور الحياة؛ فهو يعتبر أمنًا. (١)

*** مقومات الأمن:**

يُعَدُّ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، مبعثًا الشعور بالأمن والسكينة في النفس؛ لما يسببه من إدراك واضح للدنيا والآخرة.

ومن خلال الآيات الكريمة في هذا الشأن، يتضح لنا وضوحًا بَيِّنًا ما في الأمن معن للسكينة والاطمئنان، وما في الكفر من وعد بضنك العيش، وحياة لا أمن فيها ولا راحة، يتيه في ظلمات الكفر والضلال، أما حال المؤمن، فيحيا في أمن وسكينة وراحة، يعبد الله مطمئنًا، لا يخشى على دينه، أو ماله، أو عرضه، أو حتى عقله؛ بل يشعر بأمن الدنيا والآخرة.

(١)

وظهر هذا واضحًا بما لا يدع مجالًا للشك، في كثير من الآيات في قول الله تعالى: (قلنا اهبطوا منها جميعًا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

ويتضح من تلك الآية، أنه في حال اتباع هدى الله تعالى؛ فإنه لا مجال للخوف ولا الحزن أبدًا.

وقال الله عز وجل: (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون).

فوضح أن الجزاء يكون على قدر العمل، (جزاءً وفاقا)؛ فمن أخلص في إيمانه لله عز وجل، واتبع كل ما جاء به رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم من أوامر، وابتعد عما نهى عنه بقلبه وحواسه، في سره وعلنه؛ فجزاؤه الأمن والطمأنينة من كل خوف أو حزن، كما هو موضح في قوله عز وجل: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

وما كان لهذا الإيمان من أثر في تطهير، وتقويم، وتزكية لنفس المؤمن، وسكينتها، وتسليمها لأمر خالقها، وهذا ما اتضح من حال سيدنا إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام، كما في قول الله تعالى: (وحاجه قومه: قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء الله ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون، وكيف أخاف ما أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون، الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون). [٢]

حين جادله قومه فيما بلغه من اليقين والطمأنينة، ومن الايمان والتسليم لله، يرهبونه بأن آلهتهم سوف تذيقه أشد العقاب؛ ولكن كيف له أن يخاف، وكيف للخوف أن يدخل إلى قلبه، فقد واجههم بثبات كثبات الجبال، وشعور بالطمأنينة والسكينة، لا يهاب إلا الله الواحد الأحد، فلم ينل منه الفزع أو الخشية من عقاب آلهتهم ولا قوة أجسامهم، فمن توكل على الله كفاه، ومن اعتمد على من هو سواه؛ وكل إليه.

ومن بلغ به الايمان بالله، وبغض الشرك إلى هذا الحد؛ فلا خوف ولا حزن يصيبه، بل ينعم بالأمن والسكينة في حياته.

وبالمثل كان هذا حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فثبت مطمئنًا وسط كل ما لاقاه من عداوة، وترهيب، ومؤامرات، وكان القلق والرعب أقرب الى حاله، ولكنه كان يقابل كل ذلك بقول تلك الكلمات المؤثرة، التي قالها لصاحبه ورفيق دربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حينما كانا معًا في الغار، والمشركون يقطعون الأودية

([٢])سورة الأنعام، آية ٨٠- ٨٢.

والتلال بحثًا عنهم- إذ يقول أبوبكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو نظر أحدهم من عند قدميه لرآنا) فيرد عليه الحبيب صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما).

ويعتبر الايمان مصدرًا مهما للأمن: حيث إن من زاد إيمانه ويقينه؛ أصبح أشد الناس إحساسًا بالأمن. ويعتبر الإيمان نسبيًا؛ فالاحساس به يتفاوتبين القوة والضعف.[٣]

وكما هو مبين في آيات القرآن الكريم، فإن الأمن متعلق بالأيمان وجودًا وعدمًا، كما وتبين أن الخوف والحزن مرتبطان بالكفر، وأن يكفر بالله، تكون عيشته صعبة ضنكة، ويظل في حياته خائفًا حزينًا، كمن يتخبطه الشيطان من المس.

حيث يقول ربنا عز وجل في كتابه الكريم: (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا).

ويقول الحافظ بن كثير مفسرًا: (أي ضنكًا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح للصدر، بل يكون صدره ضيقًا حرجًا لضلاله؛ وإن تنعم في الظاهر بالملبس والمأكل، والمسكن، وأنواع النعيم والرفاهية. فيكون عيشه في قلق وحيرة، لا يزال يتردد في ريبه، وهذا من ضنك العيش دون شك.

وفي محاسن التأويل: (وذلك لأن الاعتقاد بالدين الحق واليقين الصحيح، هو راحة للضمائر والأنفس، وفوق كل الأهواء والملذات؛ فالضنك المقصود هنا، هو الضنك الحيوي والقلق الدنيوي، من اضطراب القلب، وعدم اطمئنان النفس الى الاعتقاد الحق والايمان بالدين القيم، الذي هو دين الإسلام؛ فكل من لم يؤمن به فهو في ضيق صدر، وهموم، ومحابس، ولا يجد منها مخرجًا الا به، فإنه لا يرتاب في ذلك إلا مكابر لحسه ووجدانه. فإن دين الاسلام هو دين الفطرة، دين تطمئن به القلوب، وتشفى به الأنفس من أدوائها، وتهتدي به من ضلالها وحيرتها، وتستنير به في ظلماتها..).[٤]

حيث إن الأمن هو أهم أسباب الشعور بالسلامة والطمأنينية في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: (وما أموالكم واولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم الجزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون).

إذًا فإن الأمن في الآخرة يتوقف على الأعمال لا الأقوال، وكذلك الإيمان بالله والتقوى، وهو غير منوط بمظاهر الزينة من الأولاد والأموال؛ إذ لا ينفع يوم القيامة مال ولا بنون، إلا من أتى الرحمن بقلب سليم؛ فهم في غرفات آمنون، جزاء إيمانهم،

---

(٣) تطبيق الشريعة طرقة الامن والعزة، الشويعر، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ ، ٧٠٤١ .

(٤) محاسن التأويل ، القاسمي، عناية : محمد فؤاد عبد الباقي ، درا إحياء الكتب العربية.

يأمنون عذاب الله وعقابه، بل يتمتعون في النعيم، كما في قول الله تعالى: (لا يخزهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون).
فهم في نعيم مقيم ، أما من أمن عذاب الله في الدنيا، فهو في خوف وقلق.
قال عز وجل:(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا).
كما في محسن التأويل: (أي وحده بنفي غيره، وعرفوه بالإيقان حق معرفته، تتنزل عليهم الملائكة؛ أي في الدنيا بإلهامهم، أو عند موتهم، أو حين بعثهم، (ألاَّ تخافوا)، أي ما تقدمون عليه بعد مماتكم، أو من الفزع الأكبر وهوله؛ فأنكم آمنون. الآية: (لا يحزنهم الفزع الاكبر).
وتكثر الآيات في موضوع الأمن وعلاقته الإيمان الحق، الإيمان الثابت، الإيمان بمعناه الحقيقي.
كما توضح أثر هذا الإيمان في نفس الفرد والبلاد، من أمن واستقرار؛ حيث إن صدق الإيمان في الفرد ينعكس على المجتمع؛ فيعيش أفراده في أمن واستقرار لا يخافون، فهم آمنون من أي ترويع أو عدوان؛ بل يلجأ إليهم الناس، يأتمنونوهم على أموالهم، ودمائهم، وأعراضهم. (٥)
وفي الحديث الشريف، يقول الرسول الكريم الله صلى الله عليه وسلم:(المؤمن من أمن الناس على دمائهم وأموالهم).
و مثال على ذلك حال العرب قبل ظهور الإسلام؛ حيث كانوا عبارة عن شعوب متفرقة وقبائل ممزقة متناحرة، يتحاربون فيما بينهم؛ إلا في شهور معدودة، أو في الحرم الشريف، ودون ذلك لم يعرفوا الأمن أو الأمان، حتى ظهور الاسلام، ودخول الايمان في قلوبهم؛ فأصبحوا بنعمة الله إخوانا، كالجسد الواحد والبنيان المرصوص.
كما توضح الآيات تصويرًا لحال العرب بعد اعتناقهم للإسلام في قوله تعالى:(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا).
وتشابهت الأحوال في الجزيرة العربية اليوم، كما كانت بالأمس قبل الحكم السعودي، حيث جمع الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، أهل الجزيرة العربية على كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، حينها فقط انتشر الأمن والأمان، وزال الخوف والقلق.
وهذا الأمن هو فقط نتيجة للإيمان الخالص بالله واليقين به، الذي يملأ القلب بالراحة والسكينة، وينشر العدل والأمان في المجتمع، ويجعله مجتمع خال من الغش، والخيانة، والحروب، والفتن.

---

(٥) تطبيق الشريعة طرقة الامن والعزة، الشويعر، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ ، ١٤٠٧ .

وعليه فإن الايمان هو سبيل الأمن في المجتمعات، واذا صاحبه العمل الجاد تحقق الأمن والسلام باذن الله.
تأنس البشرية وتلين باستخدام الأساليب البلاغية العربية، وهي بخلاف النظرة الفلسفية أو الأعجمية، ولما كان هناك نوعان من البلاغة؛ انقسمت بدورها لقسمين هما: البلاغة العربية (الخاصة بأهل العرب) وهي ذات طرق خاصة تختلف عن منهجج وبلاغة أهل العجم وفلسفتهم. (٦)
وعلى الجانب الآخر، إذا تحدثنا عن علم البلاغة، نستطيع القول أنها إحدى الفنون البلاغية، التي يحتاجها كل قارئ أو مستمع يمتلك الإحساس الطبيعي بمعاني الكلمات، الشعور بجمال المعاني المراد توصيلها إليه، ويتأمل في الطريقة التي تم بها إيصال المعنى، وإثباته، أو نفيه تمامًا. (٧)
ويجب القول في هذا الصدد، أن القارئ لابد أن يكون ملمًا بفنون الأدب وأنواعه، وهذا يبنى عنده الثقة ليكون حكمًا، وذو رأي قوي فيما يقرأه، سواء كان جيدًا أو سيئًا.
وتم تحليل كل ملمح بلاغي في كل آية من الآيات علي حدة، واستخلاص النتائج المرجوة من بعض أسرار البلاغة في هذه الآيات، من بدايتها وحتى تحقيق النصر في النهاية .
وتم وصف علم البلاغة في العصر الحديث، في ميادين الجامعات، وبين صفوف الباحثين التواقين للاستزادة من بحر البلاغة؛ لكن ليس كمادة تعليمية يتم تدريسها في المدارس وبين الطلاب، وهذه طريقة مضادة ومغايرة تمامًا لطريقة العجم وأهل الفلسفة.
وهي طريقة السكاكي، والقزويني، والتفتازاني، التي عملوا بها، ويوجد فيهم مجموعات كبيرة من العلماء والفلاسفة، الذين استطاعوا بدراستهم وحبهم الشديد لعلم البلاغة، أن يقدِّروا جيدًا ذلك العلم الثمين، والذي يملك بالطبع الكثير من الأسس والقواعد المعروفة في شتى بقاع الأرض.
ويهدف علم البلاغة للتميز في الخبر، كما قد تكون البلاغة أحيانًا بعيدة عن القواعد والقوانين؛ ولكن مع مرور الوقت واجتهاد محبي علم البلاغة، تم عمل وتأسيس مجموعة من القواعد والقوانين، شملت كل شيء في البلاغة، ولم تترك شيئًا؛ إذ حاولوا تغيير صورة، وشكل، وهيئة البلاغة، التي ترسخت في عقول الناس منذ القدم، وهذا شجعهم علي تعديل، وعمل تغيير في مفهوم البلاغة بشكل عام، يختلف تمامًا

(٦) محاسن التأويل ، القاسمي، عناية : محمد فؤاد عبد الباقي ، درا إحياء الكتب العربية.
(٧) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة، بيروت.

عن الشكل المعتاد لعلم البلاغة منذ ظهورها وحتى الآن؛ لتكون جسرًا يربط بين بلاغة الماضي والبلاغة الحديثة؛ فيما يقول عنها السيوطي [٨] .

فطبيعى أنك عندما تقرأ مثلًا قصيدة لعنترة بن شداد، أن تجد اختلافًا كبيرًا حتى وإن كان هناك تشابه في المعني، وهذا من أسباب تغيير البلاغة في الشكل، عما كانت عليه في العصور القديمة، مع ثبات الهدف بالتأكيد.

وكان لهذه التفرعات والتغييرات في مفاهيم ومصطلحات علم البلاغة، تأثيرًا كبيرًا على مستخدمى البلاغة، وانتشرت انتشارًا كبيرًا جدًا علي يد الكثيرين، ومنهم علماء عظام مثل القزوينى وغيرهم.

قسم هؤلاء العلماء البلاغة إلي ثلاثة أقسام أو (إختصارات كما يقولون) ثلاثة علوم وهى:

١. علم المعاني.
٢. علم البيان
٣. علم البديع

علم المعاني

إذا تحدثنا عن الفلسفة من وراء علم المعاني، أو بمعنى آخر تشابه الحديث، أو الكلمات المؤدية لنفس المعنى أو المفهوم:

فإن لا أحد ينكر أن المعني هو روح الحديث، فلا فائدة من حديث بلا معني مثلًا، أو مفهوم يؤدى إليه، ومن هنا جاءت أهمية علم المعاني؛ لأن له وظيفة مهمة جدًا، وهى إختيار الكلمات من بحر كبير للغة العربية، لتؤدى المعنى المقصود من الكلام أو الحديث. وقد يقال كلام لايفهم منه شيء، أو يفهم منه عكس المعنى المراد توصيله للمستمع؛ فمثلًا إذا كنت ذو نفوذ وسيطرة علي الغير، فقد تشعر بشعور السلطان، ولكنك لا تشعر بمن تسيطر عليهم، وما أدراك، فالمعنى من ذلك أن تبدأ كلامك بما يزيل شعور القلق والإنزعاج لدى المستمع، ثم بعد ذلك تستطيع أن تعاتبه بهدوء كيفما شئت.

كقول الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلك: "عفا الله عنك، لم أذنت لهم" ومثله أيضًا قول طرفة بن العبد:

فسقى ديارًا – غير مفسدها- ** صوب الربيع وديمة تهمي

فالمقصود هنا أن هذا دعاء المحب لمحبوبه، وأنه يريد الخير له، ويريد أن يكون محبوبه سالمًا ومعافىً، فالسقيا هنا، أراد بها توضيح معنى أنه إذا زاد الشيء عن الحد انقلب إلي الضد.

([٨]) حسن المحاصرة ج١ ص ١٥٧ .

وهنا عند تناولنا الآية القرآنية التي يقول فيها الله عز وجل: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[٩]

وعند دراسة وتمعن ما قاله الله عز وجل، يتم فهم الآية.

بأن هذا هو مشابهة الكلام، وتأدية وإيصال نفس المعني، وهو بالضبط ما تحدث عنه الجاحظ، وبذل الجهد في إختيار الكلمات المناسبة للمعنى المراد إيصاله للقاريء أو المستمع.

فلسفة علم البيان

فطريقة التعبير عن المعنى، ليست سهلة كما يتصور البعض؛ فمن يريد إيصال المعنى، فعليه أن يختار كلماته بعناية شديدة، ويتبع القواعد البلاغية المرتبطة بعلم المعاني، واحتمال لجوئه إلى استخدام أسلوب الكناية لزيادة المعنى غموضًا، وهنا تظهر بوضوح، أهمية فلسفة البيان في توصيل المعانى بمختلف الطرق.

ويقول السكاكي في تعريف علم فلسفة البيان:

"علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة؛ بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان" كما يقول السكاكي [١٠]

والمقصود بذلك، التعبير عن المعنى بطرق مختلفة؛ ولكنها تؤدى المعنى وتزيد في إثباته، وذلك مثل قولنا: فلانٌ طويلٌ، وهي مترفة وهو شجاع، طريق من طرق التعبير؛ فبدلًا من أن نطلق اللفظ صريحًا، نستخدم الاستعارة، أو الكناية، أو التمثيل كطريق آخر من طرق التعبير؛ فالمعنى فيهما واحد، وإنما الزيادة في الوضوح والدلالة، تنجم عن إثبات المعنى لا في المعنى نفسه، وهذا معنى قول الجرجاني، وكذلك : "فاذا سمعتهم يقولون: إن شأن هذه الأجناس؛ أي الكناية، والمجاز، وما شابههما "أن تكسب المعاني نبلًا وفضلًا، وتوجب لها شرفًا، وأن تضخمها في نفوس السامعين، وترفع أقدارها عند المخاطبين؛ فانهم لا يريدون الشجاعة، والقِرَى، وأشباه ذلك من معانى الكلم المفردة؛ وإنما يعنون إثبات معاني هذه الكلمات لمن قيلت له، ويخبر بها عنه " . وهنا تأتى عظمة علم البيان، من منطلق تغيير الكلمات، والتحكم زيادة أو نقصان في المعنى المراد توصيله للمستمع أو القاريء بطرق مختلفة.

(٩) سورة البقرة، الآية ٦٢.

(١٠) مفتاح العلوم ، ص ٧٠/ ١٤٠ .

فلسفة علم البديع أو التحسين اللفظي والمعنوي
من جوانب علم المعاني أيضًا: علم البديع أو التحسين اللفظي
وهناك اختلاف بين التحسين المعنوي والتحسين اللفظي، وهما ركنا علم البديع

كقول السكاكي: "وإذًا قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها (ويعنى بهما على المعاني والبيان) ، وأن الفصاحة بنوعيها (ويعنى بهما الفصاحة المعنوية والفصاحة اللفظية)؛ مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقى به أعلى درجات التحسين، فها هنا وجود مخصوصة، كثيرًا ما يصار إليها بقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها، وهي قسمان :

قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ".

ولا شك أن علم البيان له فائدة عظيمة، كأحد فروع علم البلاغة العربية؛ وذلك لكثرة مصادره وأنواعه، وتنوع طرقه في إيصال المعني؛ فلدى علم البيان القدرة علي وضع خيارات للقاريء لتوصيل المعنى، ليجد القاري أمامه الكثير من المعانى، يختار منها ما يشاء للمعنى الذي فهمه، وأحس بقوته في وجدانه عند قراءته أو سماعه. [١١]

وهذا ما يجعل علم البيان متميزًا عن باقي العلوم البلاغية العربية عمومًا، وسوف يشتمل هذا الحديث، عن آيات القرآن الكريم التى تحدثناعن الخير والهدى في حياتنا عمومًا، كما سوف نقوم بتحليل النصوص، وتفسير الآيات القرآنية، وتوضيح دور البلاغة في توصيل المعنى، بجانب الاهتمام بالدراسة التطبيقية؛ لتثبيت وترسيخ القاعدة البلاغية في عقل محب البلاغة. فدارس البلاغة يستخدم عقله في فهم المعنى، الذي أرادت البلاغة توصيله للقاريء. والجدير بالذكر، أن القرآن يحتوى علي كثير من عظمة البلاغة في آياته الكريمة؛ فعلم البيان ركن أساسي من أركان آيات القرآن الكريم؛ لتوضيح المعني، وإثباته، أو نفيه، باستخدام طرق مختلفة مثل التشبية، والكناية، والاستعارة الصريحة والمكنية؛ فعلم البيان يضيف جمالًا وبهاءً للقرآن الكريم.

دعونا نجيب علي السؤال (لماذا خلق الله الإنسان؟) الإجابة بالطبع سوف تكون (ليكون خليفة له في الأرض ويعمرها، وعلى هذا أرسل الله النبي محمد – صلي الله عليه وسلم – خاتم النبيين والمرسلين؛ لتكون شريعته آخر الشرائع السماوية علي الأرض وهى الإسلام، وهى صالحة لجميع البشر علي اختلاف أجناسهم، في كل مكان وزمان.

([١١]) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني ، دار المعرفة، بيروت.

الخاتمة

بعد الانتهاء من الحديث عن آيات الأمن، ووصفها في القرآن الكريم، والتي أكد أنه بالتمسك بها؛ يتم للإنسان الأمن في الدنيا والآخرة، وأثر علم المعاني، وعلم البيان وعلم البديع بها، يتبين لنا جليًا ما يلي:

١. أن الأمن هو الطمأنينة والسكون في الأنفس في جميع شؤون الحياة.

٢. إن من أعظم أسباب وركائز الأمن، هو الإيمان؛ إذ به يتم الأمن الروحي الذي هو الركيزة الأولى للأمن.

٣. إن القيام بما افترضه الله علينا من الواجبات على اختلاف أنواعها، والبعد عن المنهيات أيًا كانت درجتها، هو ما يحقق الأمن الحقيقي.

٤. إن تنفيذ الحدود التي شرعها الله على الجناة والمفسدين، له أثره الظاهر والمشاهد في استتباب الأمن.

٥. إن طاعة ولي الأمر، والسير تحت قيادة واحدة، تعد سببًا من أسباب الأمن، ولا أدل على ذلك، مما تعيشه المملكة العربية السعودية من الأمن في شؤون حياتها.

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم
٢. أسباب النزول، للواحدى، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٢٠٤١.
٣. التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ٤٨٩١.
٤. التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت.
٦. تفسير القرآن، العظيم، ابن كثير، دار الفكر.
٧. تطبيق الشريعة طريق الأمن والعزة، الشويعر، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ ، ٧٠٤١ .
٨. تنبيه الغافلين في معرفة الصغائر والكبائر، لابن النماس.
٩. جامع البيان، الطبري، دار الفكر ، بيروت.
١٠. دلائل النبوة، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ٥٠٤١ .
١١. مسند الترمذي، مكتبة الرياض الحديثة.
١٢. مسند ابي داود، مكتبة الرياض الحديثة.
١٣. شذرات الذهب في أخبار من معنى وذهب، لابي الفلاح ابن عماد الحنبلي المكتب التجاري.
١٤. صحيح البخاري، جار ابن كثير، بيروت.
١٥. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث الإسلامي.
طبقات المعشرين، الداودي، دار الكتب العلمية.
١٦. فتح الباري، للحافظ ابن حجر، تصحيح : سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر.
١٧. مجلة البحوث الإسلامية.
١٨. محاسن التأويل، القاسمي، عناية : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
١٩. مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي.
٢٠. معجم مقاييس اللغة، لابي أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، إيران.